المحاضرة1: مصادر دراسة تاريخ المغرب القديم

إنّ المدلول التاريخي والجغرافي لكلمة ليبيا في التاريخ القديم يعني ذلك الإقليم الممتّد غرب نهر النيل شرقا وإلى المحيط الأطلسي غربا من البحر الأبيض المتوسط شمالا وإلى ما يُعرف اليوم الصحراء والتي ثبت أنّها لم تكن على هذه الطبيعة المورفولوجية آنذاك، هذا الإقليم الذي أصبح يُعرف بالمغرب القديم لاحقا، والحقيقة إنّ بلاد المغرب القديم تفتقر للوثائق المدونة حول تاريخها نتيجة تأخُر أهل المنطقة في التوصل إلى وسيلة تدوين، لكنهم وبالمقابل خلّفوا لنا إرثا عظيما من الفن الجداري المصاحب أحيانا لبعض الرموز، وهذه الرسومات قليلة بجوار المناطق الساحلية وتكثر بالمناطق الداخلية مثل مرتفعات الأطلس الصحراوي وهي غزيرة في الجنوب على مرتفعات فزان، التاسيلي والأهغار.

وقد كانت هذه الرسوم الوسيلة الأولى التي استعملها سكان المنطقة في التخاطب والتواصل والتعبير عن هواجسهم طيلة آلاف السنين، ويمكننا القول بأنّه ابتداء من الألف السادسة قبل الميلاد لم ينقطع هذا العطاء، حيث رسموا الآلاف من اللوحات التي تعتبر مصدرا خاما للدراسات، فهي وإن لم تكن وثائق تاريخية مدونة، فإنّها في الواقع وثائق أثرية.

وفي تطور وتسلسل مواضيع هذه الرسومات، نجد أنفسنا أمام حلقات تشهد عن التطوّر الحضاري لأصحابها، فتمدنا بصور عن التميز الحضاري الذي عرفه المغرب القديم بامتداده الطبيعي للصحراء الوسطى، كما تمّدنا بصورة مختلفة تتعارض مع تلك التي كثيرا ما يقدّمها

بعض الكتاب المعاصرين حول التأخر والعجز الحضاري لبلاد المغرب، وبقاؤه في غياهب العصور الحجرية لغاية وصول الفينيقيين إلى المنطقة. ولقد استقى هؤلاء الكتاب معلوماتهم من بعض المصادر الكلاسيكية التي أعطت صورة مشوهة للحقيقة، في حين أنّ هناك مصدرا أقدم وأقرب من الناحية الجغرافية (إقليميا) والاثنية، وربما اللغوية من أهل المنطقة، هو المصدر المصري.

أ- **المصادر المصريـة:**

إنّ هناك أكثر من شهادة ودليل على أنّ سكان المغرب القديم كانوا على اتصال دائم ومستمر مع الحضارة المصرية وقد بدأ ذلك منذ فجر التاريخ أو ما قبله بكثير... فالآثار المصرية وإن تناولت جيرانها في الغرب لهدف يخصّها، فهي بطريقة غير مباشرة تغطي جزءا مهما من الفراغ الموجود في مرحلة فجر التاريخ وكيف عاشها الليبيون القدامى، وإن تعرضت للأقوام القريبة من النيل ودلتاه، فالحقيقة أنّ الحياة كانت موجودة في مضارب أخرى عديدة، في قلب الجبال وفي عمق البلاد المغربية، وإلى جانب الأودية الكبرى مثل وادي الساورة، إيغرغر التافساست، التامنغست. (وهي أودية جافة في الوقت الحاضر، وكلّها موجودة في الصحراء الجزائرية الآن). وكان للحضارة في هذه المضارب فعاليتها وقوّتها وأثبتت الرسوم الصخرية في الصحراء الوسطى مقارنة بما ورد على جدران المقابر والمعابد المصرية، أنّ الأقوام التي جابت ليبيا (المغرب القديم) من النيل شرقا إلى المحيط غربا، وإن اختلفت في الصفات والملامح فإنما كانت من سلالة واحدة وقد لاحظ قدامى المصريين الوحدة العرقية لهذه القبائل. ومن أقدم الآثار المصرية التي وصلت إلينا مرسوم عليها

قدماء الليبيين هي صلاية "الأسد والعقبان"، وهو أثر يرجع في تاريخه إلى العصر الثيني في مصر (أي قبل تأسيس الأسرة الأولى). وفي هذا الأثر يظهر الليبيون عراة إلا من جراب العورة (Etui phallique)، ويعتبر هذا الجزء من اللباس من أهم سمات الزى الليبي طوال العصور التاريخية اللاحقة.واذا تتبّعنا الآثار المصرية عبر مراحل تطورها، نلاحظ بروز مظاهر وأشكال جديدة، منها الشعر الطويل واللحية المدببة، كما نتبيّن من خلالها مدى اهتمام الليبين بكيفية وتنوع تسريحات الشعر والتي في الغالب تميّز قبيلة عن أخرى، وكذلك نتبين كيفية تثبيت الريش على الرأس أو تزيين الأذرع والسيقان بالوشم، وأيضا كيفية تثبيت المعطف الخارجي على الكتف، الذي حرص أصحابه على تنسيق ألوانه.

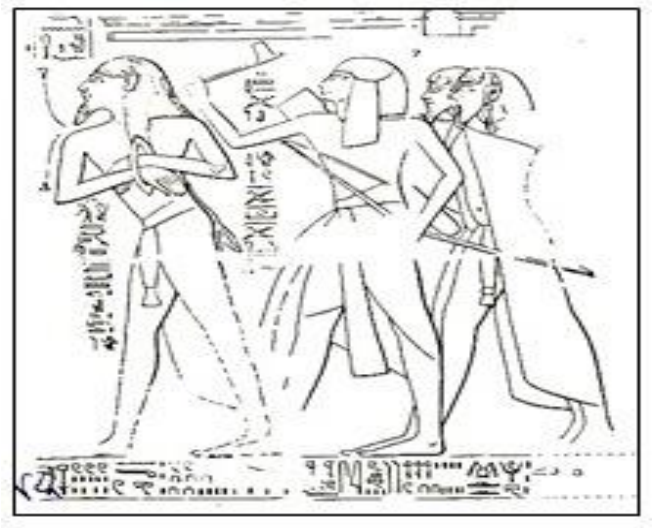

الشكل1: زعيم المشواش في الأمام و إثنان من رجاله في الخلف، يرتدون جراب العورة

.

.

الشكل 2: ليبي يرتدي جراب العورة وعلى رأسه ريش مسلّح بالقوس

(تاسيلي – أن-أجار)

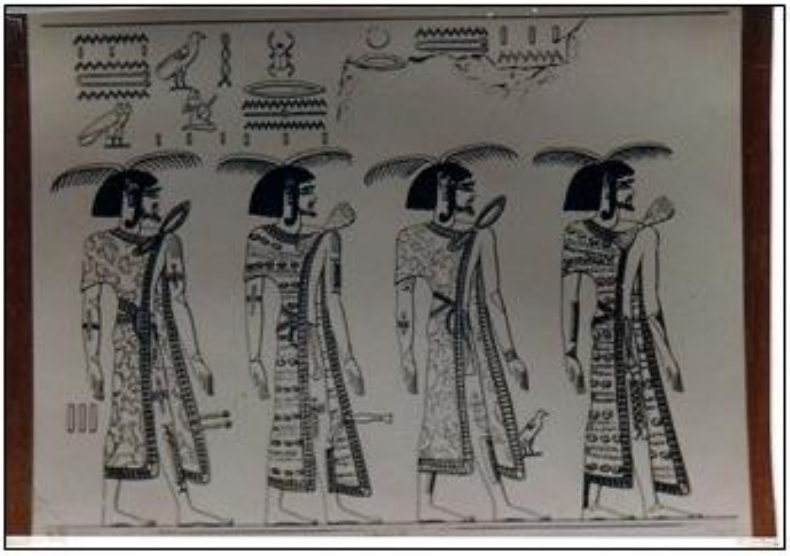

الشكل : 3 أربعة من قبيلة المشواش ظهروا في منظر شعوب العالم الأربعة

مقبرة الفرعون سيتي الأول

ب-***المصادر الاغريقية والرومانية:***

تمتد هذه المجموعة من المصادر منذ مجئ الإغريق إلى الإقليم وحتى الفتح العربى الاسلامى للمنطقة فى القرن السابع الميلادى لقد تناول تاريخ ليبيا فى هذه الفترة الكثير من الكتاب والمؤرخين والجغرافيين والفلاسفة. ومن هؤلاء نجد:

-1 هيرودوت (484 -424 ق.م.) وكتابه التاريخ: يعرف الكتاب الرابع من هذا المصنف باسم الكتاب الليبي وقد تحدث فى هذا الكتاب عن القبائل الليبية المتواجدة على المنطقة الممتدة من غرب منطقة وادي النيل وحتى سواحل المحيط الاطلسي

2- **بلينى الاكبر (23 -79 م.)** وكتابه التاريخ الطبيعى: لقد تحدث بلينى عن ليبيا فى الكثير من فقرات كتابه خاصة فى الكتاب الخامس والثالث عشر والتاسع عشر والثانى والعشرين وقد تحدث حديث مفصل عن نبات السيلفيوم الشهير الذى يشار إليه باسم الذهب الأخضر.

3- **دودوروس الصقلى(40 م.)**وكتابه المكتبة التاريخية: لقد تحدث(ديودوروس الصقلى) فى الفقرة 49 من كتابه الثالث عن ليبيا والقبائل الليبية،وعن الكثير من الظواهر الطبيعية،خاصة الغريبة منها.وقد كان(ديودوروس الصقلى) يميل إلى التحدث عن الشعوب التى جعلها موضوع تاريخه عن الجوانب الطريفة والغريبة المغلفة بالأساطير الغامضة ولذلك تختلط عنده الحقائق بالخيال اختلاطا شديدا ولكن رغم ذلك يعتبر(ديودوروس الصقلى) كاتبا ومؤرخا عظيما .

إن هذه المصادر الكتابية التى دونت من قبل كتاب إغريق ورومان ، كانت هى الأخرى من جانب واحد إلا أن هذه المصادر دعمت أراء هؤلاء المؤرخين عن طريق المكتشفات الأثرية التى عثر عليها حديثاً، كالنقوش الكتابية، وبعض بقايا الإنسان خاصة البقايا الفنية كالعمارة والنحت والفخار.